

مدى الكرمل

المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية



برنامج دراسات إسرائيل

ملفات
مدى

قراءات في مسألة المهجّرين املف رقم 8، 2016

المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن

إعداد: هبه يزبك

حيفا

آب 2016

برنامج دراسات إسرائيل - ملفات مدى
قراءات في مسألة المهجرين - ملف رقم (8)


المهجرون الفلسطينيون في الداخل: الاقتراع من المكان والبقاء في الوطن

إعداد: هبة يزبك

آب 2016

هيئة التحرير: امطانس شحادة
عميد صعابنه
إيناس خطيب

مدقق لغوي: ناجح أبو شمسية
تصميم: وائل واكيم

مدى الكرمل 
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

هاتف: +972 4 8552035

<http://mada-research.org>

mada@mada-research.org

شارع النبي (الزيتون) 51، ص.ب. 9132
حيفا 3109101

•المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن•

المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن

هبة يزبك*

تتناول الدّراسة الحاليّة مسألة التّهجير الدّاخلّي للفلسطينيين الباقين في وطنهم داخل مناطق الـ 48. بحيث تقوم الدّراسة بتسليط الضّوء على السّياسات الصّهيونيّة التي عملت على تحويل قسم من الفلسطينيين إلى مهجّرين داخل وطنهم.

من خلال هذه الدّراسة، أدّعي أنّ المشروع الصّهيونيّ لم يهدف إلى تشكيل مجموعة مهجّرين، بل عمل على تحويل الشعب الفلسطينيّ، بالمجمل، إلى لاجئ خارج حدود وطنه، وأنّ المهجّرين هم مشروع لاجئين أيضاً، وبقائهم داخل وطنهم نجحوا، ولو جزئياً، في إفشال مشروع الطّرد عن الأرض ومن الوطن. هذا، وتقوم الدّراسة الحاليّة باستعراض الآليات والسّياسات المركزيّة التي عملت بموجبها القوّات العسكريّة الصّهيونيّة، ومن ثمّ المؤسّسات الإسرائيليّة بهدف التّهجير والطّرد، وذلك وفق الرّوايات الشّفويّة للمهجّرين أنفسهم، والتي، ومن خلالها، أيضاً، تُستشفّ رواية التّشبّث والبقاء، وليس فقط الاقتلاع. وبهذا، تُحيل الورقة الحاليّة، أيضاً، إلى أهميّة التّاريخ الشّفويّ ومركزيّته كمنهج علميّ ذي مصداقيّة، يتحوّل إلى مرجع في صياغة الرواية التّاريخيّة والجمعيّة للفلسطينيين.

تقوم الدّراسة الحاليّة باستعراض وتعقّب جوانب عينيّة من الحقبة التّاريخيّة ما بين النّكبة ومرحلة الحكم العسكريّ لاحقاً، من خلال التّمرّكز في أنماط السّياسات الصّهيونيّة، التي حوّلت الفلسطينيّ إلى مهجّر في وطنه؛ بحيث تُجيب الدّراسة الحاليّة على السّؤال المركزيّ: كيف يروي أبناء الجيل الأوّل للمهجّرين الفلسطينيين ما عايشوه من سياسات صهيونيّة لاقتلاعهم؟

المهجّرون الباقون في وطنهم

بلغ مجمل عدد الفلسطينيين في فلسطين التّاريخيّة، عشية النّكبة (1948)، حوالي 1.3 مليون نسمة، من بينهم 900 ألف نسمة كانوا يعيشون في المناطق التي قامت عليها إسرائيل. وخلال أحداث النّكبة، هجّرت القوّات الصّهيونيّة ما يقارب 750 ألفاً، ليتبقّى منهم حوالي 156 ألف فلسطينيّ يعيشون داخل الحدود، التي تحوّلت، بعد النّكبة، إلى دولة إسرائيل، وتُعرف بمناطق الـ

* هبة يزبك: طالبة دكتوراه في قسم العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة- جامعة تل أبيب.



• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

48. ومن بين هؤلاء، بقي 30 إلى 40 ألفاً ضمن ما يُسمّى بـ«مهجّر فلسطيني داخلي»¹. بموجب تعريف الأمم المتّحدة، فإنّ المهجّرين الدّاخلين هم الأشخاص أو المجموعات الذين أُجبروا على الهرب أو ترك بيوتهم وأماكن سكنهم الطّبيعيّة دون قطع حدود الدّولة المعترف بها دولياً، وذلك كنتيجة أو لأجل الحماية من تأثيرات النزاعات المسلّحة، أو العنف العامّ، أو المسّ بحقوق الإنسان، أو بسبب كوارث طبيعيّة أو إنسانيّة². وصل عدد المهجّرين الدّاخلين في العالم، في نهاية العام 2014، إلى 38 مليون شخص³.

لا يوجد، حتّى اليوم، تعريف رسمي للمهجّرين الفلسطينيين داخل حدود دولة إسرائيل. هذه الدّراسة تتبنّى مصطلح «المهجّرون الفلسطينيون في إسرائيل» للإشارة إلى مهجّري الدّاخل، حسب تعريف الأمم المتّحدة. ومن باب الاختصار، أشرت إلى هذا المصطلح بـ«المهجّرين»⁴. ويشكّل «المهجّرون» شريحة هامّة من مجمل اللاّجئين الفلسطينيين عامّة. ويتشابه «المهجّرون» مع مجمل اللاّجئين الفلسطينيين كون بيوتهم وقراهم قد دُمّرت على يد دولة إسرائيل، وهجّروا منها، لكنّهم، وخلافاً لباقي اللاّجئين، لم يتركوا وطنهم ومسقط رأسهم، والذي أصبح يُعرف، بعد حرب العام 1948، بدولة «إسرائيل». وفُرضت على «المهجّرين»، كباقي الفلسطينيين الذين بقوا في وطنهم، المواطنة الإسرائيليّة، ولكنّ السّلطات الإسرائيليّة منعتهم من العودة إلى بيوتهم وقراهم، وحوّلت جميع ممتلكاتهم، وأراضيهم، وقراهم المدمّرة إلى ملكيّتها، من خلال التّنظيمات اليهوديّة ومؤسّسات الدّولة⁵.

هنالك مجموعتان من «المهجّرين» الفلسطينيين في دولة إسرائيل: مهجّرو العام 1948، ومهجّرو ما بعد 1948. أمّا مهجّرو العام 1948، فهم الفلسطينيون الذين اقتلَعوا من بيوتهم خلال أحداث النّكبة، وبقوا في حدود دولة إسرائيل، ويشكّلون المجموعة الكبرى. ويعرّف القانون الإسرائيلي أفراد هذه المجموعة بـ«حاضرون غائبون»، وهم المجموعة التي تتناولها الدّراسة الحاليّة. أمّا مجموعة «المهجّرين» الثّانية، فتتكوّن من الفلسطينيين الذين اقتلَعتهم إسرائيل من قراهم بعد أحداث النّكبة؛ فبعضهم طردتهم إسرائيل خارج حدودها، بينما بقي آخرون داخل حدود إسرائيل. وينتمي للمجموعة الأخيرة عدد كبير من فلسطينيي النّقب الذين هجّرتهم إسرائيل من قراهم؛

1. Masalha, N. (2008) Remembering the Palestinian Nakba: Commemoration, Oral History and Narratives of Memory. *Holy Land Studies: A Multidisciplinary Journal*. Pp. 123-156, 7(2).

Badil. (2009). Survey of Palestinian Refugees and Internally Displaced Persons. 2008-2009 VI. BADIL Resource Center for Palestinian Residency & Refugee Rights.

2. UNHCR. (2007). Internally displaced people.

3. UNCHR. (2015). Internally displaced people

4. وهو الاصطلاح الذي تمّ اعتماده من قبل لجنة الدّفاع عن حقوق المهجّرين في إسرائيل. أنظر صباغ خوري، أريج. (2011). «المهجّرون الفلسطينيون في إسرائيل». لدى: نديم روحانا وأريج صباغ خوري (محرران). الفلسطينيون في إسرائيل: قراءات في التاريخ والسياسة والمجتمع. حيفا: مدى الكرمل.

5. كوهين، هيلل. (2000). الغائبون الحاضرون، اللاّجئون الفلسطينيون في إسرائيل منذ 1948. القدس: فان لير.

•المهجرّون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن•

ويعيش غالبيتهم، اليوم، في قرى «غير معترف بها» من قبل إسرائيل.⁶ يتعلّق أحد الأسئلة المركّبة في ما يخصّ مجموعة «مهجري العام 1948» بإشكالية تحديد أعدادهم، وذلك لعدم توفّر إحصائيات رسمية لدى دائرة الإحصاء المركزيّة، أو من خلال التّعداد السّكانيّ.⁷ وقد تعمّدت دائرة الإحصاء المركزيّة عدم إحصاء المهجرّين كمجموعه سكانيّة. تندرج هذه السّياسة الإحصائيّة ضمن سياسة إسرائيليّة تتنكّر لحقوق «المهجّرين» بغيّة منعهم من بلورة مطالب جماعيّة ومشتركة للمطالبة بحقّهم في العودة إلى قراهم وبيوتهم التي يعيشون على مرمى حجر منها. كما وسّعت هذه السّياسة الإحصائية لمحو «مشكلة المهجرّين» وكأنّ إلغاءهم إحصائيّاً يلغي وجودهم كذلك.⁸

من هنا، فإنّ هناك صعوبة كبيرة في إيجاد معطيات أو توصيفات رسميّة تتعلّق بالديمغرافيا والتّربية والصّحة والعمل، أو أيّ معطى آخر يتعلّق بمهجريّ الدّاخل، خلافاً للاجئين الفلسطينيين في الشّتات؛ كما لا تشمل تسجيلات «الأونروا» أيّ معطيات حول المهجرّين.⁹ بالمقابل، هناك مصادر غير رسميّة توفّر بعض المعطيات حول المهجرّين في الدّاخل، منها المعطيات التي يقوم برصدها «مركز بديل- المركز الفلسطينيّ لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين»، والتي تُظهر، أنّه حتى العام 2008، كان هناك قرابة 427 ألف مهجرّ فلسطينيّ في إسرائيل، ممن اقتلّعوا منذ العام 1948 (335 ألفاً منهم هُجّروا في العام 1948، والباقيون هُجّروا بعد العام 1967).¹⁰

يسكن مهجرّو الدّاخل، اليوم، في معظم البلدات العربيّة، وكذلك في المدن الفلسطينيّة ما قبل النّكبة، والتي تمّ تحويلها، إسرائيليّاً، وتسميتها بـ«المدن المختلطة».¹¹ ويتواجد معظم هؤلاء المهجرّين في حوالي 47 بلدة مثل يافا، واللّد، والنّاصرة، وحيفا. في بعض البلدات، لا زال المهجرّون يسكنون في حارات تحمل أسماء قراهم المهجرّة (على سبيل المثال، يقطن مهجرّو صفوريّة «حيّ الصّافرة» في النّاصرة، ويتجمّع مهجرّو معلول في حيّ «جبل معلول» في يافا النّاصرة).¹² هنالك بلدات يشكّل المهجرّون فيها أغليبيّة الشّريحة السّكانيّة؛ وفي بلدات أخرى هم فقط أقلّيّة صغيرة. تعود هذه الفروقات بالأعداد إلى الطّرق المختلفة التي وصل المهجرّون، من خلالها، إلى هذه البلدات. إذ لجأ بعضهم إلى هذه البلدات طوعاً بعد طردهم من قراهم، بينما قامت دولة إسرائيل بتهجير آخرين، ونقلهم لبلدات أخرى من خلال «دائرة تأهيل اللاجئين»،

6. Badil. (2009). Ibid

7. للتوسّع حول هذه الإشكاليّة، راجعوا ورقة عميد صعاينة في هذا الملف: صعاينة، عميد. (2016). هل نعرف كم عدد المهجرّين الفلسطينيين؟ إشكاليّات في التعريف والعدّ. ملفات مدى: المهجرّين (رقم 8).

8. Kamen, C. (1987). After the Catastrophe I: The Arabs in Israel. 1948-1951, *Middle Eastern Studies*, (1)23, Pp. 453-493.

9. Badil. 2009. Ibid

10. Badil. 2009. Ibid

11. كوهين، هيلل. مصدر سابق.

12. برزيلي، رونيت؛ وكها، مصطفى. (1996). لاجئون في وطنهم: اللاجئون الدّاخلون في دولة إسرائيل 1948-1996. جفعات حبيبه: مركز أبحاث السّلام.

• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

والتي عملت بين السّنوات 1949-1953.¹³

مع بداية تسعينيات القرن العشرين، وفي أعقاب توقيع اتفاقية أوسلو، بدأت مرحلة جديدة في قضية المهجّرين. فبعد أن غُيب الفلسطينيون داخل إسرائيل عامّةً، وضمنهم المهجّرون، عن اتفاق أوسلو، نشطت مجموعة من بين المهجّرين للعمل على خلق وعي متجدّد لقضيتهم. وفي العام 1992، تمّت المبادرة، ولأوّل مرّة، لطرح قضية مهجّري الدّاخل على أجندة المجتمع الفلسطيني داخل إسرائيل. وأقيمت لجنة قطريّة باسم «جمعية الدّفاع عن حقوق المهجّرين في إسرائيل»، تفرّعت عنها لجان محليّة في أماكن تواجد أبناء القرى المهجّرة. بدأت اللّجنة بالمطالبة بإعادة أراضي القرى المهجّرة لأصحابها الشرعيّين، والعودة إلى قراهم، لأنّ ذلك من الحقوق الشّخصيّة والجمعيّة والقوميّة.¹⁴ وفي بعض الحالات، واستنادًا على الحقّ الشّخصي بالعودة، قام أفراد من المهجّرين، واستنادًا إلى حقوقهم كمواطنين في الدّولة، بالتوجّه إلى المحاكم الإسرائيليّة كخطوة نضاليّة من أجل العودة إلى قراهم (أهالي قريتي إقرث وبرعم). إلّا أنّ نضالهم القانوني لم يؤت ثماره حتى اليوم.¹⁵

المهجّرون الفلسطينيون: رواية مُهمّشة تتحدّى هيمنة المُستعمر

في العام 1948، قامت المجموعات العسكريّة الصّهيونيّة بأعمال طرد وذبح وتخريب واغتصاب ضد الفلسطينيين.¹⁶ هذا ويدّعي بابيه¹⁷ بأنّهم تصرّفوا، عمومًا، كما تصرّفت حركات الاستعمار الأخرى، التي عملت في الشّرق الأوسط وإفريقيا منذ بداية القرن التّاسع عشر. مع هذا، فقد نجحت السّلطات الإسرائيليّة في إزالة هذه الأعمال من الذاكرة الجماعيّة الإسرائيليّة. يبدو هذا جليًّا في الكتب المدرسيّة الإسرائيليّة، وبرامج التّدريس، ووسائل الإعلام، والجدل السّياسي. هكذا ظلّت أحداث النكبة تُبحث وتروى حتى أواخر التّسعينيات من الجانب الإسرائيلي، الذي اعتمد، بالأساس، على الأرشيفات والسّجلات العسكريّة،¹⁸ دون أن تقابلها، من الطرف الفلسطيني، محاولات جادّة ومنظمة لتوثيق تجربة الصّحّيّة وروايته حتى تكتمل الصّورة الحقيقيّة لأحداث حرب فلسطين عام 1948.¹⁹ ويدّعي عادل منّاع، في بحثه الصّادر مؤخرًا (2016)، أنّ «كثيرون من اليهود والعرب لم يسمعو إلّا رواية المنتصرين لأحداث سنة 1948. وقليلون

13. كوهين، هيلل. مصدر سابق.

14. المصدر السابق.

15. برزيلي، رونيت؛ وكبها، مصطفى. مصدر سابق.

16. بابيه، إيلان. (2006). *التطهر العرقي في فلسطين*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

موريس، بني. (1993). *طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين*. عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث.

17. بابيه، إيلان. (2006). «النكبة في التّاريخ والحاضر». لدى: مصطفى، كبها. (محرر). *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة إشكاليات وتحديات*. حيفا: مدى الكرمل.

18. موريس، بني. مصدر سابق.

19. منّاع، عادل. (2006). «الذاكرة وتاريخ أحداث النكبة مجد الكروم نموذجًا». لدى: مصطفى، كبها. (محرر). *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة إشكاليات وتحديات*. حيفا: مدى الكرمل.

Yazbak, M. (2011). "The Nakba and the Palestinian Silence" in Adwan, S. and Ben Zeev, E. and others. (Eds.). *Zoom in: Palestinian Refugees of 1948 Remembrances*. The Institute for Historical Justice and Reconciliation, Dordrecht. Pp. 160-165.

• المهجرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

منهم، وخصوصاً في إسرائيل، سمعوا بحكاية المهزومين الإنسانيّة²⁰. من هنا، يرى منّاع، الذي يقدّم دراسة شاملة حول تهجير وبقاء قرى شمال فلسطين، «أهميّة سرد رواية المهزومين من القاع إلى الأعلى، أي روايات النّاس والفلاحين، وتدعيمها بمصادر ومراجع أوليّة وثانويّة من سير ذاتيّة وكتابات وأبحاث سابقة تتعامل مع التّاريخ الفلسطيني. فاستعمال كلّ المصادر المتوفّرة إلى جانب الشّهادات الشّفويّة يوفّر للباحث إمكانية تقديم قراءة شاملة ومتكاملة»²¹.

كان لحرب العام 1948 والنّكبة أثرٌ بالغ على عدم إمكانية توثيق وكتابة التّاريخ الفلسطينيّ لتلك الأحداث، ولجوانبها المختلفة؛ إذ فقد الفلسطينيون معظم وثائقهم ومصادرهم المكتوبة وقت الحرب. وهكذا، فإنّ الاقتلاع الجسديّ للفلسطينيين من وطنهم كان، أيضاً، اقتلاعاً لموروثهم التّقافيّ والحضاريّ. بحيث دُمّر، أو ضاع، أو نُهبَ معظم الإرث التّقافيّ والقانونيّ المكتوب للشّعب الفلسطينيّ: سجّلات الملاك والأراضي، والمكتبات العامّة، والصّحافة المطبوعة وأرشيفها، ومستندات أجهزة الحكم المحليّ، وسجّلات المستشفيات والمصارف والمدارس ومعاهد العلم والمراكز التّقافيّة، وبيانات الأدباء والكتّاب والسياسيين²². وهو الأمر الذي يُحتمّ الاعتماد على التّاريخ الشّفويّ، وعلى الشّهادات الفلسطينيّة المحكيّة لتوثيق التّاريخ، وكتابة الرواية. حيث أصبحت الشّهادات بمثابة مصدر بديل أو إضافيّ، وفقاً للظّروف المتاحة، لإكمال الإصدارات والمؤلّفات، وتعديلها، وتصحيحها، وذلك ضمن تحقيق عمليّات التّدقيق والفحص والمقارنة والمحافظة على المصادقية²³. التّاريخ الشّفويّ، وبصفته منهجاً علمياً وشرعياً، أصبح مصدراً هاماً لكشف زيف الادّعاء الإسرائيليّ الرّسميّ، الذي سعى لطمس جرائم النّكبة معتمداً على هيمنة وانتقائيّة إسرائيليّة من الأرشيف. وقد حاول العديد من المؤرّخين الإسرائيليين التقليل من مصداقيّة الشّهادات الشّفويّة، للتقليل من مصداقيّة الرواية الفلسطينيّة التي تعتمد هذه الشّهادات أداة لبناء رواية فلسطينيّة لأحداث النّكبة، تتحدّى بها هيمنة الادّعاء الإسرائيليّ وتكشف زيفه²⁴. ورغم مزاعم الرواية الإسرائيليّة الرّسميّة، فقد أثبت التّاريخ الفلسطينيّ الشّفويّ درجة كبيرة من المصادقية، إذ كلّما تقدّم البحث التّاريخيّ كلّما تأكّدت جيّدّة أعمال الفلسطينيين التي استندت على الرواية الشّفويّة²⁵. وما تتناوله الدّراسة الحاليّة هو جزء من هذا التّأكيد²⁶.

20. منّاع، عادل. (2016). نكبة وبقاء: حكاية فلسطينيين ظلّوا في حيفا والجليل (1948-1956). بيروت: مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة. ص. 40.

21. المصدر السّابق. ص. 44.

22. عبد الجوّاد، صالح. (2006). «لماذا لا نستطيع كتابة تاريخنا المعاصر من دون استخدام المصادر الشّفويّة؟ حرب 1948 دراسة حالة». لدى: مصطفى، كيه. (محرر). نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة إشكاليات وتحديات. حيفا: مدى الكرمل

23. المصدر السابق.

24. فرو، قيس. (2014). كيف يخدم التّاريخ الشّفويّ التّاريخ الفلسطينيّ. **جدل**، (20). حيفا: مدى الكرمل.

25. عبد الجوّاد، صالح. مصدر سابق.

26. مقارنة بمبادرات وإنجازات التّاريخ الشّفويّ في الأردن، ولبنان، والضّفة الغربيّة، فلا زالت مبادرات التّاريخ الشّفويّ لدى الفلسطينيين الباقيين في وطنهم متواضعة جداً.

Peled, K. (2014). Palestinian Oral History as a source for understanding the Past: Insights and Lessons from an oral history project among Palestinians in Israel. *Middle Eastern Studies*, 50. (3). Pp. 412-425.

• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

تتمركز الدّراسة الحاليّة في آليّات وأنماط التّهجير التي اتّبعتها الحركة الصهيونيّة وأجهزتها المختلفة كجزء من سياسات الاقتلاع الفلسطينيّ، وذلك من خلال تجربة الفلسطينيّ المهجّر، واعتماداً على روايته كما عاشها وعاشها. وتعتمد الدّراسة أصوات المضطهدين والمقموعين، وتستمع لأصوات المهجّرين كمجموعة مهمّشة مُستضعفة، فقدت أرضها وبيتها وعائلتها، وأخرست روايتها سياسياً، وبحثياً، وأكاديمياً على مدار سنوات طويلة.²⁷

في ظلّ غياب أرشيف ومستندات فلسطينيّة، وتدمير الآثار الفلسطينيّة، ومحوها، وإزالتها، وغياب مؤسّسات لدولة مركزيّة فلسطينيّة وأرشيفات رسميّة بعد النكبة،²⁸ يتحوّل الاعتماد الأساسيّ لتأريخ مسألة المهجّرين على الشّهادات الحيّة. ومن خلال التّاريخ الشّفويّ ومنهجيّاته العلميّة، يتمّ، من جديد، تكريس المكان والمكانة الملائمة لعملية الكتابة التّاريخيّة للمضطهدين والتّابعين، وتوثيقها ككتابة تاريخيّة لما يُعرف بعهد ما بعد كولونياليّة.²⁹

أصوات فلسطينيّة تروي التّهجير

تعتمد الدّراسة الحاليّة على مقتطفات من 14 مقابلة مختلفة تمّ إجراؤها مع رجال ونساء (8 رجال و6 نساء) من أبناء الجيل الأول للمهجّرين.³⁰ أُجريت المقابلات مع مهجّرين من قرى ومدن مهجّرة مختلفة. هذا، وسيتمّ استخدام الشّهادات كما جاءت حرفياً على لسان المهجّرين دون أيّ تغيير أو تعديل، مع الإبقاء على اللّهجة العاميّة التي تحدّث بها المهجّرون. هنا، تجدر الإشارة

27. بعض المصادر والدّراسات التي تناولت مسألة المهجّرين:
يزبك، هبة. (2011). الارتباط بالمكان، الهوية الثقافيّة والرّفاهيّة النّفسيّة للمهجّرين الفلسطينيين في الدّاخل. رسالة ماجستير. تل أبيب: جامعة تل أبيب.
جريس، رنين. (2011). المناخ العائليّ بأوساط العائلات في كفر ياسيف: مقارنة بين العائلات المهجّرة وغير المهجّرة. رسالة ماجستير. حيفا: جامعة حيفا.
Abu Hanna, N. E. (2012). *Inter-generational transmission of collective memory of the 1948 War events among Palestinian citizens of Israel: Comparison between internally displaced and non-displaced*. (PhD). Tel-Aviv University.
Al-Haj, M. (1988). The Arab internal refugees in Israel: The emergence of a minority within the minority. *Immigrants and Minorities*. 7(2), Pp. 149-165.
Daoud, N., Shankardass, K., O'Campo, P., Anderson, K., & Agbaria, A. K. (2012). Internal displacement and health among the Palestinian minority in Israel. *Social science & medicine*, 74(8), 1163-1171.
Humphries, I. (2005). "A Muted Sort of Grief: Tales of refuge in Nazareth (1948-2005)". In Masalha, N. (Ed). *Catastrophe Remembered Palestine, Israel and the Internal Refugees*. Zed Books.
Kanaaneh, R. & Nusair, I. (2010). *Displaced at Home Ethnicity and Gender among Palestinians in Israel*. State University of New York Press.
Kassem, F. (2011). *Palestinian Women Narrative Histories and Gendered Memory*. Zed books.
Sa'di, A. H. & Abu-Lughod, L. (2007). *Nakba: Palestine 1948, and the Claims of Memory*. New York: Columbia University Press.
Sayegh, R. (1979). *Palestinians: from Peasants to Revolutionaries*. London: Zed Books.

28. فرو، قيس. مصدر سابق.
29. Gayatri, C. S. (1988). "Can the Subaltern Speak?" in Nelson, C., & Grossberg, L. (Eds.) *Marxism and the Interpretation of Culture*. University of Illinois Press. *Marxism and the Interpretation of Culture*. Pp. 271-313.
30. تعرّف الدّراسة الحاليّة أبناء الجيل الأول للمهجّرين أنّهم من كانوا أبناء 8 سنوات وأكثر عند التّهجير في العام 1948.

• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن.

إلى أنّني، وضمن محدودية الدّراسة، لا أدعي التّأريخ لقضية التّهجير عامّةً، ولكنني أُلقي الضّوء على أحد الجوانب الهامّة في تاريخ تهجير الفلسطينيين، والذي غالبًا ما تمّ استعراضه من زاوية السّجلات الإسرائيليّة الرّسميّة. بحيث ستتناول الدّراسة الحاليّة السّؤال المركزيّ: كيف يروي أبناء الجيل الأوّل للمهجّرين الفلسطينيين ما عايشوه من سياسات صهيونيّة تهدف لاقتلاعهم؟ من خلال روايات المهجّرين، سيتمّ تسليط الضّوء على آليات التّهجير المباشرة بناء على روايات المهجّرين، وذلك وفقًا لاستعراض زمنيّ تعاقبيّ لسياسات الاقتلاع منذ العام 1948 وحتى انتهاء فترة الحكم العسكريّ.

القتل والتّهديد كأدوات تهجير

برزت مجزرة دير ياسين وما وصل من أنباء حولها لباقي المناطق الفلسطينيّة حدثًا مركزيًا عمل على دبّ الخوف والذّعر في قلوب الفلسطينيين، وترهيبهم من ملاقاته نفس المصير، الأمر الذي دعاهم للخروج من بلداتهم حفاظًا على أرواحهم. يصف نصري³¹ ذلك بقوله: «لَمَّا احتلّوا دير ياسين، أوعز إلهن [أي للجيش] من بن غوريون عملاق مذبحة عشان تخويف اليّ حوالينهم.. وبعدين اللد والرّملة والطّنطورة.. الأخبار طلعت ثاني يوم بالصّحف الفلسطينيّة «الدّفاع» و«فلسطين». النّاس هربت قبل ما يجوا [الجيش]...». أمّا عن هول الجرائم التي وصلتهم من مذبحة دير ياسين، فتقول بدرية³²: «بتذكّر كان واحد يقرأ جريدة، وكانوا جاينين اليهود ع دير ياسين مفضعين، كاينين المرة [المرأة] الحبله يشطبوها بالسّيخ، يطلعوا الولد من بطنها، يدبحوا الزّلام والنّسوان... وكان يقرأ الجريدة ويقول يا ويلهن من الله، يا ويلهن من الله، وقلب ومات... والنّاس سمعت...». كما ويؤكّد على ذلك إبراهيم³³ في شهادته: «المجازر بدير ياسين وغيرها، بطخّوا وبقتلوا، حطّوا الرّعب بقلوب النّاس، وخلّوا النّاس تطلع... وبعدها فاتوا [الجيش] على البلد تقريبًا البلد فاضيه.. بعد ما طلّعوا صاروا يطخّوا بالبلد، ويمكن في واحد ختباري كان موجود ضل، أجت هواي فيه... هني قتلوه».

تبرز الشّهادات وتتكرّر حول القتل، والقصف، ومداهمة الجيش الإسرائيليّ للبلد بشكل مباشر، كآلية مباشرة للاقتلاع من البلد، واحتلالها على يد القوّات العسكريّة. طبّقت هذه الآلية في القرى والمدن على حدّ سواء، وإن كان بأنماط مختلفة. يروي سامي³⁴ في شهادته: «قعدت بيسان 3

31. 82 عامًا، مهجّر من قرية المجديل إلى مدينة النّاصرة.

لقد أشرت إلى مسار التّهجير من خلال استخدام العبارات «يسكن في» و«مهجر إلى»، وذلك للتمييز بين نوعين من المهجرين. الأوّل، الذين هُجّروا إلى بلدات واستقروا فيها دون التنقل وأشرت إليهم بـ«مهجر إلى»؛ والثاني، الذين هُجّروا وتنقلوا بين عدة بلدات لجوء إلى أن استقروا في بلدتهم الحاليّة وأشرت إليهم بـ«يسكن في».

32. 79 عامًا، مهجّرة من قرية الغابسيّة، وتسكن في الشّيخ دنون.

33. 85 عامًا، مهجّر من قرية الرّويس إلى طمرة.

34. 74 عامًا، مهجّر من مدينة بيسان إلى النّاصرة.

• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

أيام تحت القصف، حياة الوالد كان عامل ملجأ لأهل الحارة، وأنا كنت بحضن الوالدة، بس أسمع صوت انفجار أجفل... قعدت 3 أيام... وبعدين قالوا بيسان سلّمت... وأجوا الزّلام يعيطوا ع أساس سلّموا سلاحهن وبدهن يهجرونا... طلّعنا بهالباصات، كان حواري 6 باصات، والنّساء كانوا يعيطوا، مناحه... حياة الوالد سكر الدّار، وأخذنا لوازم، وما أخذش معو أوراق ولا إشي بالمرّة، كان والدي من أكبر مقاولين عمار في بيسان، كان عنده كسّارة و6 تركّات [شاحنات]، وكنا شراكة في باصات بيسان، هدول الباصات اللي تهجّرنا فيهن، هدول النّاس». ويضيف سامي: «طلّعنا فيهن وع طريق العفوله صاروا يطخّوا علينا، فكرونا من الجيش العربي... وصلنا لعند اكسال، أول كوربا بمدخل العفوله كان العرب مفجرين الشّارع هناك، بطّلت الباصات تغدر تمشي، فقالوا دبروا حالكو... كلّ واحد حمل البقجة، وطلّعنا ع الجبل، وكملنا مشي. عرفوا أهل النّاصرة فينا كل واحد معه سيّارة كان يجي يعبّي ويحطنا باب العين، باب كنيسة الرّوم».

وعن الدّمار في مدينة يافا، يقول إسماعيل:³⁵ «يافا كانت كوم لحم. نزلت عليها الصّواريخ البدائيّة أكثر من 4 آلاف، ينزل الصّاروخ ع الدّار يهدها، جامع يافا الكبير اللي اسمه المحموديّة نزل فيه خمسة [صواريخ]، أكثر الدّور نزلت فيها الصّواريخ، الصّاروخ ينزل فيها يهدها... النّاس بتخاف ع ولادها... صار اللي يحمل ولاده ويخش بين البيّارات... النّاس صارت تهاجر». أمّا عن مدينة حيفا، فتقول عفاف:³⁶ «لما قرّر أبوي يطلع، كان كتير طخ، والشّارع اللي بدنا نقطعه كان عليه كتير رصاص يلّمع عشان الدّنيا ليل، فوق صوته كمان اللّمعه الملفته للنّظر... الرّصاص كان يفوت ع البيت من الشّبابيك...». رواية مشابهه عن حيفا ترويها جيهان:³⁷ «في دكتور قبانا [مقابل البيت في حيفا]، عنده عيادة، أنا ع السطوح أطلّع إلا السيّارة ملانه دم ومتصاوبين وإشي ميّت... بحيفا، كان الطّخ قايم قاعد.. شفت الأموات والأحياء متصاوبين».

لم تسلّم القرى الفلسطينيّة من نفس المصير، تروي زكية³⁸ في شهادتها: «الزّلام والشّباب بقولوا أجت اليهود، وصلت اليهود، ونسمع الطّخ ونهرب... سمعنا صوت طخ، قالوا وصلوا اليهود... كنا خايفين من اليهود، كنا سامعين إنّه اللي بلاقوه بدهن يطخّوه». مشهد مشابه تصفه بدرية:³⁹ «طلع واحد قال اليهود أجت على البلد، صارت بأول البلد، قامت النّاس كلها طلّعت، وقعدنا بالوعر شرق الغابسيّة، وكانت الكابري ع قبانا، وكانت

35. 90 عامًا، مهجّر من سكنة درويش، ويعيش في يافا.

36. 79 عامًا، مهجّرة من حيفا، وتسكن النّاصرة.

37. 88 عامًا، مهجّرة من مدينة حيفا إلى عكا.

38. 87 عامًا، مهجّرة من قرية ميعار إلى كابول.

39. 79 عامًا، مهجّرة من قرية الغابسيّة، وتسكن في الشّيخ دنون.

• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

صارت طالعة». إبراهيم⁴⁰ يروي: «إحنا طلّعنا على كوكب، ومن كوكب ع شعب، صاروا يضربوا ع شعب... فطلّعنا عاودنا على زيتون مجد الكروم، وكان زتون مجد الكروم ملان أمم، لا تحصى ولا تعد.. كله هجيج واحد.. طلّعنا عاودنا ع نحف، في علاقات النا غاد، سكنا بنحف، إسه لما احتلّوا الجليل بكامله، احتلّوا نحف، وعملوا اللي عملوه، وقتلوا أكم واحد هناك... أنا تخبّيت... وشفت كيف قتلوا زلام اللي مرقوا وأجوا عند المختار، والجيش طخن. من نحف، عاودنا أجينا ع يركا، بتنا ليله، وكملنا تاني يوم بالجديده والمكر، وقعدنا حد التينات نستنى تتغيب الشّمس، ونكمّل ع طمره». أمّا جاد،⁴¹ فيشير إلى أنّ «أول إشي اليهود احتلّوا الجبل اللي قبال معلول، هذا الجبل هو مراعي لأهل معلول، اليهود احتلّوه، وبعدين قتلوا بقلب البلد واحدة وهي واقفه بباب الدار- طخّوها...». مريم⁴² تقول في شهادتها: «إحنا بالـ 48 كنّا نايمين بهالليل، ما حسّينا إلا أبوي بقول قوموا أهربوا... وين نهرب... رصاص متل زخّ المطر... وقمنا هربنا، طلّعنا بنصّ الليل... قال أبوي إنه جيش الهاغانا⁴³ صار يتغلغل بالبيارات اللي إحنا فيها- إحنا ساكنين بالبيارات-، قمنا سحبنا حالنا وطلّعنا، لقينا متلنا متايل، أهل المزرعه، السّميرية، الزّيب، البصّه، الغابسيّة كلهن هاربين على كفر ياسيف». أمّا سميحة،⁴⁴ فتروي تجربتها المباشرة مع المداهمة والرّصاص: «يوم فاتوا ع بلدنا، صارت النّاس تقول أجت اليهود، أجت أمي فيقتنا الصّبح، قالت هجموا اليهود... الدّبّابات فانت على البلد، وهني مارقين، كانوا يطخّوا على الجنين، كنّا أنا وخالتي وستي وإحنا هاربين، كان في عبّارة، نمنا وراها للعبّارة، بطحننا حالنا فوق بعض، عشان مي جيش رصاص علينا، الرّصاص كان على الجنين».

إلى جانب أعمال التّرويع، والقتل، والمداهمة المباشرة للبلدة، تمّت الإشارة، أيضًا، إلى إستراتيجية تطويق البلد من قبل الجيش، وذلك لعدّة أهداف.⁴⁵ في شهادة جاد، المذكورة آنفًا، أشار إلى احتلال الجبل المقابل لقرية معلول، والمشرف عليها، قبل الدّخول إلى القرية، أما نصري،⁴⁶ المهجّر من قرية المجيدل المحاذية لمعلول، فإنّه يقول: «كان عندهن خطّة كل مرّة، أجوا على المجيدل بطوقوها من ثلاث مداخل، والرابع بتركوه عشان الرّحيل، وهيك عملوا بكلّ القرى والمدن». أيضًا

40. 85 عامًا، مهجّر من قرية الرّويس إلى طمرة.

41. 93 عامًا، مهجّر من قرية معلول، ويسكن يافة النّاصرة.

42. 82 عامًا، مهجّرة من منشية عكا، وتسكن في عكا.

43. الهاغاناه-كبرى الحركات العسكريّة اليهوديّة في فلسطين، ضمن الخطة «د» كان للهاغاناه عدة فرق عسكريّة تحت تصرفها، واستلمت كلّ فرقة لائحة بالقرى التي عليها احتلالها وتدميرها. كان التّدوير مصير معظم القرى، وفي حالات غير عادية فقط أمرت القوّات بترك بعض القرى سليمة. بابيه، إيلان. (2006).

44. 75 عامًا، مهجّرة من قرية السّميرية إلى عكا.

45. يشير بابيه (2006) إلى أنّ القرى كانت تُحاط من ثلاثة جوانب، ويترك الجانب الرابع للفرار والإخلاء. لم تنجح هذه الخطة في بعض الحالات، لأنّ العديد من أهل القرى بقوا في بيوتهم، وهنا ارتكبت المجازر، كانت هذه الاستراتيجية المركزيّة لتهويد فلسطين.

46. 83 عامًا، مهجّر من قرية المجيدل إلى مدينة النّاصرة.

• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن.

محمد،⁴⁷ فيروي: «طوّقوا البلد [بيسان]، وممنوع حد يستنّى بالبلد، الحديث عن البقيّة الباقية في البلد، قرّروا إنّه ما يفضل ولا عربي هناك، أجوا ع البيوت، وقالوا معكو نصّ سيعه تطلعوا.. جمّعونا بالسّاحة، عند دار الحكومة، جابوا باصات وسيّارات... قالوا إنّه الّلي بدو يروح ع الأردن هاي السيّارات من هاي النّاحية، والّلي بدو يروح ع النّاصرة أو جنين هاي الباصات... خيروا النّاس، وإنّه عليكو إنّه ترحلوا...».

الهدم الكليّ لضمان عدم العودة

لضمان عدم عودة المهجّرين إلى بلداتهم الأصليّة، فقد اتّبع الجيش، في البداية، سياسة هدم البلد والبيوت لمنع العودة. عن هذا، يروي فضل:⁴⁸ «هدموها لميعار، مضلّش فيها إشي، قبل ما يهدموها كنت أطلع عليها، أعرّفها بيت بيت... أول بأول كانوا يهدموها فيها... هدموا البلد عشان ميبينش آثار- الدّامون نفس الشّي، والبروة والرويس...». أمّا إبراهيم، المهجّر من قرية الرويس، فيروي: «هدموا البيوت مباشرة... يعني بعد أبو جمعة زمان مش أكثر... شفنا البيوت بتنهدم من هون [طمرة]... النّاس شو بدها تعمل، دبابات وجيش، ولا حول ولا، فش إشي بإيدو الواحد...»، كذلك جاد، المهجّر من المجيدل، فيروي عن الهدم المباشر، ويقول: «روحنا أول إشي ع النّاصرة، كنّا مفكرين جمعه وراجعين... إحنا طلعنا من هون، وهني نسفوا البلد ثاني يوم... فاتوا ع البلد، احتلّوها، والّلي انقتل انقتل». بدرية، المهجرة من الغابسيّة، تصف في شهادتها: «كنّا نشوف اليهود يحطّو لغومه ع الدّور، ويهدّوا الدّور، إحنا قاعدين قبالها [على تلّة محاذية]، وهني بيهدّوا بهالدّور». أمّا عن يافا وقضائها، فيقول إسماعيل، المهجّر من سكنة درويش: «سكنة درويش، أبو كبير، المنشية كلّه انمسخ عن وجه الأرض... يوم ما خشت اليهود، بلّشوا مسح بالسّكنات».

اللافت أيضًا أنّه لم يتمّ الاكتفاء بهدم البيوت، إنّما تمّ بيع حجارتها أيضًا، كما يروي إبراهيم عن حجارة بيوت الرويس: «حجار البيوت ضلّت بالبلد، بعدين ضمّنها، وصاروا ينقلوها بالتركّات... ضمّنها من يهود لعرب، يعني صاروا يجيبوا تركّات، يحلّوها، وينقلوا الحجارة، والّلي بدو 200-500 حجر، خذو ونظفوهن... زي الّلي بضمّن ناس أموال متروكه.. هي وحجارة الدّامون، كلّه التركّات [سيّارات الشّحن] حملّوها، ونقلوها، وصاروا يبيعوا للقري».

التّجريد من أدوات المواجهة

47. 85 عامًا، مهجّر من مدينة بيسان، ومستقرّ في الفريديس.

48. 80 عامًا، مهجّر من قرية ميعار، ويسكن في عبّين.



• المهجرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

مقابل آلات الهدم، والقصف، والقتل، والاقتلاع، لم يملك الفلسطينيّ أدوات المقاومة، وإن وجد، فكان قليلاً، وما توفّر من سلاح تَمّت مصادرته، بحيث أن تجريد الفلسطينيّ من كلّ ما يملك كان هدفاً، كما وتَمّت السيطرة بشكل كبير على إمكانيّات المقاومة والمواجهة.⁴⁹ عن هذا، يروي فضل، المهجر من ميعار: «بقولوا كان في أربع أو خمس بواريد... شو كان بميعار». محمد (أبو حسن)⁵⁰ يؤكّد على شحّ امتلاك السلاح ومقوّمات المواجهة، ويقول: «بذكّ سلاح... بذكّ تنظيم... بذكّ سيّارة تنقل مصاوبين!». أمّا إبراهيم،⁵¹ فيروي: «البلد طلعت كلها، وإحنا طلّعنا مع البلد... أجينا ع طمرة... وأجى ضابط الجيش، وطلب من أهل الرويس القطع اللّي معهن، وكان معهن حوالي 12 قطعة سلاح، سلّموه إياهن ع أساس يرجع البلد... أخذ السلاح من هون وبثاني يوم تالت يوم إلّا التركّات بتهد بالبلد... رجعنا عاودنا بسنتها، وفلحوا الأرض، وأعزبت الناس تحت الزيتون... وأجوا عاودوا اليهود وطلّعوهن، وعملوا أحكام عسكريّه». محمد، الذي هجر من بيسان في شبابه، روى أيضاً عن تجميع السلاح من بيسان، وبشكل شخصي يروي: «أنا كان عندي سلاح (بندقية)... سلّمناها للجيش عشان يطلع أخوي من السّجن... أي شخص بعقلوه، سلّم السلاح بطلّعوه».

الملاحقة والإبعاد

لم تقتصر محاولات اقتلاع المهجرين من بلداتهم الأصليّة فحسب، بل تَمّت ملاحقتهم في أماكن لجوئهم ومكوّتهم في البلدات المجاورة بعد التّهجير، بهدف الإبعاد والطرد خارج البلاد، وهو ما يسمى «الكب»، وتحويلهم إلى لاجئين خارج «الحدود». على ما يبدو، فإنّ مصطلح «الكب» كان دارجاً على ألسن الجيش الإسرائيلي كجزء من خطّته، وليس ترجمة حرفيّة من العبريّة للعربيّة على يد المهجرين، إنّما تمّ تبنيّه من قبلهم، وذلك لشيوع استخدامه من قبل المهجرين في المناطق المختلفة. وما روته زكيّة، المهجرة من ميعار، يؤكّد ذلك: «مهتّي اليهود كانوا يقولوا كبوهن من هالبلاد هاي، كبو...». كذلك يروي محمد (أبو حسن): «كانوا يكبوننا. منين انت؟ من الدّامون... يلا ع السيّارة... أنا كبّوني ع مجيدو... يجوا يطوقوا البلد، وين في ساحه كبيرة يجمعوا الناس هناك، يسألوا من وين انت؟ من ميعار، أنا من الدّامون، يلا ع الشّحنّيات... زلام ونسوان وولاد... أنا مثلاً زلمه كبير، وين مرتك، بيعتو جندي معه، ويروحوا يجيبهن، كلّ العيله... كانوا يحطّونا بالشّحنّيات الواقفه، ولما ننزل، يقلنا انزلوا عند عبدالله، ينعن امكو وام عبدالله [ملك الأردن]، هناك كانوا العراقيّه، ويطخ أكم طلقه من

49. يشير إيلان بابيه، (2006)، في كتابه «التّطهير العرقيّ في فلسطين»، إلى أنّه عشية حرب 1948، كان عدد القوات اليهوديّة المقاتلة نحو 50000 جندي، مع مساندة من سلاحي جوّ وبحر، ووحدات دبابات، وعربات مدرّعة ومدفعية ثقيلة، مقابل مجموعات فلسطينيّة شبه عسكريّة لا تتعدى 7000 مقاتل، قوة مقاتلة تفتقر إلى هيكلية أو هرمية قياديّة. وفي المراحل التالّية، كان عدد القوّة اليهوديّة ضعف عدد الجيوش العربيّة مجتمعة.

50. 86 عامًا، مهجر من قرية الدّامون إلى قرية كابول.

51. 85 عامًا، مهجر من قرية الرويس إلى طمرة.

• المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن •

فوق... ويجو يوخدوننا ع نابلس من الجهه الثانية... ونرجع، هني يقولوا عنّا متسلّين، بس إحنا بدنا نرجع ع بلادنا. وصلنا هناك ع المخيمّات، قعدنا يوم أو اثنين». ويضيف أبو حسن: «كنا نرجع بالليل ع جنين، ندفع أكم قرش، وواحد يمشي قدامنا تيطلعنا تلا جبال الناصرة، ومن هناك وغاد منعرف. لتحت، لجاي، مكنّاش نعرف... هذا صار معي مرتين، غيري صار معهن عدّة مرات».

زكيّة تهجّرت هي وعائلتها من ميعار، وذهبوا إلى سخنين للبقاء لدى أقاربهم. ومن هناك، انتقلوا، واستقرّوا في كابول. تقول عن مشاعر الخوف في سخنين: «أجوا على سخنين يدوروا على الّي مش من البلد [سخنين]... والله ما أخذنا الهويّات في سخنين، إلا تاجينا لهون تنّا أخذنا الهويّات [كابول]... والّي بلاقوه يوخذوه [المقصود في كابول].. بكبّوه تلا نابلس، تلا جنين... أه، الّي معش هويه، والّي يزقطوه يكبّوه». وعن قيام الجيش بـ«كب» زوجها تقول زكيّة: «أجوا وأخذوه، وقلهن بدّي أشوف مرتي وإبني. قالوا له ممنوع، وأخذوه... كبّوه لتلا جنين... رجعوا ماشين. بقوئي أطلّح عالنجوم، ووين يغرب النّجم نمشي... وبقلي وين ضعنا بكوكب، نطلع من هون، ونرجع من هون، للصّبح تعرفنا الطّريق، ورجعنا». إبراهيم، المهجّر من الرويس إلى طمرة، يقول: «الّي بيحي معوش قسيمة [المقصود إلى طمرة] كانوا يوخدوه ويكبّوه». عن ذلك، تروي أيضًا مريم، المهجّرة من منشية عكا، والتي، بعد التّهجير، استقرّت، مع عائلتها، بالمكر قبل أن تتزوّج وتنتقل إلى عكا: «بالمكر، الجيش كان يطوّق البلد، ويلّم الشّباب، ويحطهن بسيّارة الجيش، ويوخدهن، ويكبهن، ويزتهن على حدود جنين... كثير من أهل البروة زتوهن غاد، حملّوهن وكبّوهن... أنت من البروة... أنت من المنشية؟ ويزتوا ع هالسّيارة».

قوانين الطوارئ في خدمة التّهجير

كانت عملية الاقتلاع مُحكّمة، وكان مخطّط لها، ومدروسة. إذ بعد انتهاء الجيش من المجازر، والقتل، ومداهمة البلدات الفلسطينية، قام بطرد سكانّها، وتدمير البيوت، وكبّ المهجّرين؛ كما قامت الحكومة الإسرائيليّة بعدّة خطوات إضافيّة لتثبيت الاقتلاع، وضمان عدم عودة المهجّرين إلى بلداتهم وبيوتهم. من أهمّ السّياسات لمنع المهجّرين من العودة إلى بلداتهم، كان تنفيذ قوانين الطوارئ، الموروثة من الانتداب البريطاني، والمتمثّلة بالحكم العسكري⁵². يروي إبراهيم: «النّاس جرّبت نرجع، وتسكن هناك [بعد أن تمّ هدم البيوت]، هني اليهود عند ما حرثوا وأخذوا

52. كان الحكم العسكريّ منذ إنشائه عام 1948 وحتى إلغائه الكامل عام 1968، بمثابة الجهاز القانوني-العسكريّ-السّياسي، الذي وفّر إمكانيّة المضي قدماً في بناء الدّولة اليهوديّة بعد العام 1948. إنّ أحد أسس هذه السّياسة هو مصادرة 60% من أراضي العرب، ومنع عودة المهجّرين إلى قراهم، ومنع أصحاب الأراضي من الوصول إلى أراضيهم، وإقامة بلدات يهوديّة في قلب التّجمعات العربيّة وغيرها. بويميل، يثير. (2011). «الحكم العسكريّ». لدى: روحانا، نديم؛ وخوري-صباغ، أريج. (محرران). الفلسطينيون في إسرائيل: قراءات في التاريخ والسّياسة والمجتمع. حيفا: مدى الكرمل.

•المهجرّون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن•

الأرض، شو بدّو الواحد يرجع، ما عاد فيه، وعملوا أحكام عسكريّه، واللي بدّو يرجع بدّو تصرّيح، ومخطّطات، هنتي عارفين شو بدهن يعملوا». بالمقابل، تصف زكية، من ميعار، مشهد بقاء النّساء كبيرات السنّ في البلد، وامتناعهنّ من الخروج ظناً أنّه يمكن لهذا أن يبقين في البلد، ويستعدن أولادهنّ، تقول: «أمّي ضلّت بالبلد، هي وبيجي يعني سبعة ثمن نسوان برضه ضلوا بالبلد... تجمّعوا كلهن بدار واحدة، بدار المختار... قال بدها [والدتها] تضل قاعدة بميعار من شان بلكي رجعوا أولادها... بعدها قالولها [الجيش] ممنوع تضلّي، أجبروها... طلعت، وراحت عند ولادها بسخنين». كما ويصف فضل في شهادته: «بعد ما سخنين سلّمت، وعزّابة، وكلّه، رجعنا اجينا على ميعار، بعدها لبيوت مثل ما هي... كل واحد بعرف بيتو واللّه. وسكنا في بيتنا... البلد مثل ما هي... وأجوا جماعه كتار، يعني بدّي أعدلك، يعني حوالي 15 عيلة، 20 عيلة، سكنا هناك حوالي سنتين وما حدا سألنا... يمكن في الـ 1951 هيك إشي... بعدين أجا البوليص، قلنا بدكوا تطلعوا... بتغلثوا وما بتغلثوا... واطلعوا... حملت الناس، وطلعت... اللي طلع على سخنين، واللي على كابول... بالخمسينات... أوّل بأوّل بقوا يهدموا فيها [ميعار]، هدموا كلّ البيوت، ومضّش إشي ميين» .

كذلك تمّت مصادرة أراضي المهجرّين.⁵³ حول ذلك، يروي إسماعيل، المهجرّ من سكنة درويش إلى يافا: «في سنة 55، كان عند هدول [اليهود] قانون «الهفكعاه»،⁵⁴ إحنا منسّميه قانون النّهب والسّرقة... والمصادرة... أرضي وهاي كوشاني... كيف بتيجي بتصادروه؟ وأنا انحبست مرّة على هاي... حكيت مرّة بين ناس، ووصل للبوليس، وأجى قلّي شو بتقول هيك هيك... وأخذني البوليس عند الحاكم... كانت المحكمة بيهودا ليفي، بتل أبيب. قلّي أنت يا ولد شو بتقول؟ قتلته بقول هاد قانون نهب وسرقه. قلّي ع هاد الكلام أنت بتحبس. قتلته إذا اللي بحكي الدغري بنحبس احبسوني... وانحبست 15 يوم». ويضيف: «أرض أبوي كانت بردقان تصادرت... جاب محامي اسمه الدكتور ناغبي... ضلّت من الـ 55 للـ 58 المحكمة. وراح ع العليا، والمحكمة حكماله بأرضه تاني يوم. وزير القضاء «فكح». الأرض تخطى المحكمة، وعمل هفكعاه. قتلته: يابا عرضوا عليك مصاري؟ قلّي: لا يابا، الأرض هي المال... المحكمة حكمتلي... لما شاف التراكتور، صار يخلع بالسّجر، قعد بالبيّارة، عيط زي الولد الصغير، وقلّب... كان عندي أخ أصغر مني، حملناه، وصلنا عالسيطار مات... كان كبير بالعمر... كان معدي الـ 90».

53. ضمن قانون أملاك الغائبين (1950).

54. كلمة عبرية تعني المصادرة.



قمع الجيل الشّاب

بالإضافة إلى مصادرة أراضي المهجّرين والسّيطرة عليها، كان الجيل الشّاب مستهدفاً بشكل مباشر، وتمّت محاولة السّيطرة عليه عن طريق الأسر، يروي إسماعيل، الذي كان ابن 20 عاماً: «كلّ الجيل تاعى، الشّباب، أخذونا أسرى. أنا أخذوني أسير... الأعراب، الحوارني، المصريّين، كانوا يطخّوهن، يروحوا ع شط البحر... بالأسر قعدت أنا بس 20 يوم... مهندس مطورات [يهوديّ] قليّ أنا بدّي أطلعك، بس بتشتغل معنا، بتدور مطور، وبتطلع مي... وهيك طلّعتني... وصاروا يجوا يوخذوني بأوتومبيل مزّرر [مسكّر] على بيّارة... الناس دشّرت تنكات السّولر ملانه، أدور المطور، أطلعّ فيه، يوخذوا مية تنك، يودّوا للجيش تاعهم...». أيضاً في مدينة عكا، لاقى المهجّرون مصيراً مشابهاً من الأسر. جيهان، المهجّرة من حيفا إلى عكا، تروي: «حبسوا الشّباب، واللي طالع دويه 15، 16 [سنة]، أخذوهن، مخلّوش إلا الأطفال والنّسوان». جيهان تحدّثت، أيضاً، عن أسر والدها رغم كبر سنه: «والدي أخذوه مع إنّه كبير بالسّن، وحبسوه... حبسوه سنة زمان وطلّعه».

أمّا زكية، والتي تهجّرت من ميعار إلى قرية كابول، فتصف المشهد، وتقول: «كان في جيش يضب ويلم هالشّباب كلها، ويحطها عالسّاحة، عالبيدر [في كابول بعد التّهجير]... يقعدوهن، يقتلوهن تيشبعوهن، كانوا يوزّوا ناس تعمل هيك... ناس عواينيه... بقينا نعرفهن هدول من برّيت البلد، ومسّاحين، يعطوهن سلاح ويسلّحوهن». إلى جانب أسر الشّباب والرّجال عموماً، تروي جيهان الممارسات تجاه النساء، وتقول: «أمّي خبّنتني بالحصيرة أحسن لا اليهود يوخذوني، كانوا يوخذوا البنات... كنا نسمع عن البنات يوخذوهن، يخطّفوهن، يشحروهن، وينيلوهن، يعني يغتصبوهن».⁵⁵ هذه كلها تندرج تحت سياسات القمع، والتّرهيب، والتّخويف بغية القبول بالأمر الواقع، وفقدان الوطن والبلدات والبيت، خاصّة لمنح الأجيال الشّابة من محاولة تغيير الواقع.

55. يشير بابيه، في كتابه «التّطهير العرقيّ في فلسطين»، (2006)، إلى أنّه يمكن الاستشفاف عن حالات الاغتصاب من خلال ثلاثة مصادر مركزية: المنظّمات الدّولية (كالأمم المتّحدة والصّليب الأحمر)، والأرشفيات الإسرائيليّة، والمصدر الثّالث هو التّاريخ الشّفويّ، الذي رواه كلّ من مرتكبي الجرائم والضّحايا. بحيث إنّ الشّهادات الشّفوية كشفت عن حالات اغتصاب عديدة خلال احتلال القرى (قرية الطّنطورة، وقرية قولة، وفي قرى أخرى، احتلت خلال عمليّة حيرام).

الخاتمة:

سلّطت هذه الدّراسة الضّوء على تجربة المهجّرين الفلسطينيين الدّاخلين وروايتهم حول ما عايشوه من سياسات اقتلاع خلال النّكبة وبعدها. لتساهم هذه الدّراسة بتغذية الدّراسات القائمة حول سياسات الاقتلاع عمومًا، والتّهجير الداخليّ خاصّةً، والتي تستند، في معظمها، على التّوثيق الأرشيفيّ كمصدر للمعرفة.⁵⁶ تماشت روايات المهجّرين في هذه الدّراسة، غالبًا، مع ما جاء في دراسات سابقة وفقًا لمصادر أرشيفيّة مكتوبة وسجّلات، الأمر الذي يؤكّد أنّ الدّكرة الشّفويّة هي، أيضًا، مصدرٌ موثوقٌ، ويتحلّى بالمصداقيّة، في حالة الالتزام بالأسس البحثيّة.

من خلال روايات المهجّرين، التي تمّ استعراضها، ومن خلال استحضار أدوات التّهجير والسياسات المتعاقبة، يمكن الاستدلال، جليًّا، على أنّ المشروع الصّهيونيّ طمح إلى نفي الفلسطينيّ خارج حدود الوطن، وليس داخله، ولاحق كلّ مهجّر بقي ليطرده. يبدو ذلك جليًّا من خلال المجازر، وأعمال القتل، والقصف، والمداهمات للبلدات الفلسطينيّة بشكل مباشر من قبل القوّات العسكريّة الإسرائيليّة، ومن خلال الخطط العسكريّة، التي تمّ تنفيذها من خلال تطويق البلدات وغيرها. كما تمّ العمل، لاحقًا وبشكل محكم، على ضمان عدم عودة الفلسطينيّ إلى بلده، من خلال هدم البيوت، وحتى بيع الحجارة، و«تنظيف» البلدات من كلّ أثر فلسطينيّ. أمّا لضمان عدم المقاومة في أحيان كثيرة، فقد تمّ تجريد الفلسطينيّ من سلاحه حيث وجد.

يُلاحظ من روايات المهجّرين، عدم الاكتفاء بطردهم من بلداتهم، ومحوها في الكثير من الأحيان، بل، أيضًا، ملاحقتهم إلى بلدات اللّجوء، والعمل على طردهم منها خارج الحدود الجديدة. كما وتمّ تفعيل قوانين الطوارئ والحكم العسكريّ، ومصادرة الأراضي، وملاحقة الشّباب وأسرههم، إضافة لاستمرار عمليّات العنف والترهيب والسيطرة.

إنّ استحضار رواية المُستعمر، المهجّر، واستعراضها يساهمان في تعزيز التّجربة والصّوت الإنسانيّ، وإيصال معاناته ضمن سياقات يُحدّد وصفها ويعرّفها، مما يُحوّل الرّوايات لمشاهد تاريخيّة، إنسانيّة تفاعليّة لا تقتصر فقط على توصيف معلوماتيّ، بل تصوّر، في صلبها، تجربة تعتمد على مشاعر، وسيرورة لحيوات وكيانات إنسانيّة تمّ قمعها.

الرّوايات، المذكورة أعلاه، تشكّل جزءًا من المساهمة في تعزيز المعرفة وتوسيعها حول سياسات التّهجير الإسرائيليّة كما يصفها المهجّر نفسه. ولا شك أنّ روايات التّهجير تحتاج للتعمق البحثيّ، والتّحليل الجنديّ، الرّمانكانيّ، الاقتصاديّ، الثّقافيّ، وغيره من المتغيّرات التي تحملها روايات التّهجير عام النّكبة وما بعد ذلك، حتّى اليوم؛ ولكن، وضمن محدوديّة الدّراسة، لم يكن بالإمكان التّطرق لها، وهي مسائل جديرة بالدّراسة والبحث مستقبلاً.

56. بابيه، 2006؛ كوهين، 2000؛ موريس، 1993.



•المهجّرون الفلسطينيون في الدّاخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن•

هذه الدّراسة هي بمثابة دعوة لقراءة تجربة التّهجير والاقتلاع كتجربة صمود وتشبّث وبقاء أيضاً لمقاومة النّفي خارج الوطن، بحيث تُشكّل تجربة المهجّرين تمثيلاً إنسانياً وسياسياً واضحاً للمراوحة ما بين الاقتلاع والثّبات، وانتصار الأخير على الأول، رغم حصوله.